جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
The Islamic University
of Al Saied Mohamed Bin Ali Al sanussi

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

مركز السيد أحمد الشريف للدراسات والبحوث العلمية

المؤتمر العلمي الأول
واقع المصالحة الوطنية في ليبيا
المعوقات و الحلول

المؤتمر العلمي الأول

واقع المصالحة الوطنية في ليبيا

المعوقات والحلول

ضمن المحور الأول:

(الشريعة الإسلامية سبيل للمصالحة الوطنية)

بحث بعنوان

((العدالة الاجتماعية ودورها في تحقيق المصالحة الوطنية وبناء الدولة من خلال سياسة عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه))

الباحث : أ / مروة مخزوم إبراهيم يحيى

مكان العمل: وزارة التربية والتعليم / زليتن

الدرجة العلمية : ماجستير الدعوة والثقافة الإسلامية.

التخصص العام : دراسات إسلامية

marwamakhazum@gmail.com 0944753101

1444هـ - 2023 م

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز سياسة "عمر بن عبد العزيز"–رضي الله عنه– في العدالة الاجتماعية بجميع جوانبها وأبعادها سواء كانت في أجهزة الحكم، والدولة؛ وفي الجانب الاقتصادي بكل أبعاده والقضائي أيضا، وكذلك إبراز سياسته في المصالحة الوطنية، وفقه التعامل بين الناس مع اختلاف آرائهم وتوجهاتهم، والاستفادة من ذلك بتطبيقه على واقعنا المعاش، وقد توصلت الباحثة إلى أنه: سار في خلافته على منهج الشريعة الإسلامية واستطاع بحكمته وفطنته تحقيق العدالة الاجتماعية في خلافته على أبعد ما يكون؛ فقد سعى لذلك منذ اللحظة الأولى من توليه الخلافة فاهتم بالعدالة في أجهزة الدولة بجميع جوانبها كعزل الولاة الظالمين، واختيارهم على شروط بعيدة عن الوساطة والجهوية؛ وكذلك بالعدالة الاقتصادية كسياسة رد المظالم والعدالة في الدخول والثروات؛ واهتم أيضا بالعدالة القضائية وذلك بضمان حقوق الناس وتطبيق الحدود بالعدل والسير في ذلك على أحكام الله دون تعد أو جور، وقضى على الحروب والنزاعات وحقق التعايش السلمي في المجتمع مع اختلاف الفرق والتوجهات؛ كالخوارج، والشيعة، وأتاح لهم حرية التعبير بالكلمة والحجة بل أقحم الصالح والعادل منهم في أجهزة الدولة، وضمن لغير المسلمين حقوقهم للتعايش السلمي في المجتمع، وسعى للصلح بين الخصوم؛ وهذا أدى بدوره مع تحقيق العدالة إلى تحقيق المصالحة الوطنية؛ ثم بناء دولة إسلامية وسطية قوية بعيدا عن التطرف والإرهاب؛ فمثل مثالا حقيقيا للدين الإسلامي دين المحبة والسلام.

Research Summary

This Research aims to highlight the policy of Omar bin Abdulaziz in social justice in all it's aspects and dimensions" whether it is in the government and state apparatuses and in the economic aspect in all it's dimensions the judiciary as well as highlighting his policy of national reconciliation and the jurisprudence of dealing between people with their different opinions and orientations and benefiting from that by applying it to our reality The pension' and the researcher concluded that he followed the method of Islamic law in his caliphate and was able' with his wisdom and acumen' to achieve social justice in his caliphate as far as possible. He sought this from the first moment of his assumption of the caliphate' so he cared about justice in all aspects of the state's apparatus' such as isolating unjust rulers' choosing them on conditions far from mediation and regionalism' as well as economic justice' by redressing grievances' justice in incomes' wealth' etc. It adheres to the provisions of God without encroachment or injustice as well as eliminating wars and conflicts and achieving peaceful coexistence in society with different sects and orientations. Such as the 'kharijites' and 'Shiites' and allowed them freedom of expression by word and argument' but rather inserted the righteous and just among them into the state apparatus' and guaranteed non-Muslims their rights to peaceful coexistence in society' and sought reconciliation between opponents' And this' led along with achieving justice' to achieving national reconciliation' and then building a strong moderate Islamic state away from extremism and terrorism' as it represented a true example of the Islamic religion' the religion of love and peace.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم–، أما بعد:

فإن من أسمى الأعمال؛ التي تقوم بها المؤسسات التعليمية؛ هي وضع استراتجيات وحلول تسعى إلى حلحلة المشاكل والأزمات؛ التي تمر بها المجتمعات؛ وخاصة في المراحل الانتقالية؛ وتزداد أهمية هذه الاستراتجيات إذا كانت تقود إلى نشر السلم والرقي بالمجتمعات من خلال نشر العدالة الاجتماعية والمصالحة الوطنية؛ وإن بلادنا الحبيبة ليبيا مرت بأصعب الظروف؛ التي تحتاج منا إلى تكاثف الجهود ونشر الوعي والسير بالمجتمع نحو العدل والمصالحة؛ لتحقيق السلم الذي بدوره يؤدي إلى النهوض بالدولة؛ ولا شك أن العلماء والباحثين هم أول من يمكنهم التأثير في هذا الأمر بالدراسة والبحث الجدي؛ لوضع تلك الاستراتجيات؛ ولعل من أبرز الأمور؛ التي يمكنها مساعدة البحاث؛ هو تسليط الضوء على التجارب الناجحة للسابقين؛ وخاصة السلف الصالح منهم؛ وإن من هؤلاء السلف: هو الخليفة "عمر بن عبد العزيز"–رضي الله عنه–؛ فهو يمثل "أنموذجا" ناجحا في تطبيق العدالة الاجتماعية، والمصالحة الوطنية في المدة التي تولى فيها الخلافة؛ لذا اخترت أن تكون مدة خلافته موضع بحث، ودراسة للاستفادة من سياسته بتطبيقها على الواقع المعاش، كما أنه يتناسب مع أهداف هذا المؤتمر.

وتبرز أهمية هذا الموضوع في كونه يدرس شخصية إسلامية حققت العدالة بجميع جوانبها؛ فنتج عن ذلك تحقيق المصالحة الوطنية، وبناء الدولة على أسس قوية، وهو ما تطمح إليه الأنظمة والمجتمعات؛ مما يعد موطن استفادة للمهتمين بتطبيق العدالة، ويهدف هذا البحث إلى: إبراز سياسة "عمر بن عبدالعزيز"–رضي الله عنه– في تحقيق العدالة الاجتماعية، والمصالحة الوطنية، كما يهدف إلى تصحيح النظرة الخاطئة من قبل بعض الناس حول ضرورة فصل الدين عن الدولة؛ فما استطاع "عمر" – رضي الله عنه– النهوض بالدولة، وتحقيق العدالة، والمصالحة، والسلم إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية، ويهدف أيضا إلى بيان وسطية الإسلام من خلال منهجية "عمر" – رضي الله عنه– في تعامله مع المخالف فأقام الحوار والحجة معهم بعيدا عن السيف، والسلاح، كما يهدف إلى الاستفادة من سياسته بتطبيقها على واقعنا المعاش.

وإشكالية هذا البحث، تتمثل في السؤال الرئيس:

– ما هي سياسة "عمر"–رضي الله عنه– في العدالة الاجتماعية؟ ويتفرع عنه الأسئلة التالية:

– ما هي المواطن التي حقق فيها "عمر" –رضي الله عنه– العدالة الاجتماعية؟

– ما هي الأبعاد التي حققتها العدالة الاجتماعية في سياسته؟

– ما هي أبرز الملامح التي ميزت سياسته في المصالحة الوطنية؟

– ما تأثير تطبيق العدالة في بناء الدولة وقوتها؟

واقتضت طبيعة الموضوع اتباع المهج الاستقرائي والتاريخي؛ وذلك بتتبع الأحداث، والمواقف من سيرة "عمر"–رضي الله عنه–؛ والمنهج التحليلي، وذلك بتحليل تلك المواقف؛ واستنباط سياسته ومنهجيته؛ التي اتبعها في العدالة والمصالحة الوطنية.

كما اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة، ومبحثين، المبحث الأول: "عمر بن عبدالعزيز"–رضي الله عنه– والأوضاع السائدة قبل عصره، وقسمته على مطلبين تحدثت في المطلب الأول عن الأوضاع السائدة قبل عصره، وفي المطلب الثاني عن سيرته–رضي الله عنه– أما المبحث الثاني ففي العدالة الاجتماعية والمصالحة الوطنية في سياسة "عمر"–رضي الله عنه–، والمبحث الثاني في العدالة الوطنية والمصالحة الوطنية في سياسة عمر–رضي الله عنه– وقسمته على مطلبين أيضا، المطلب الأول تناول: مظاهر العدالة الاجتماعية في خلافته"–رضي الله عنه–، أما المطلب الثاني فتناول المصالحة الوطنية في خلافته–رضي الله عنه–وقوة دولته، وخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، وتوصيات.

المبحث الأول: عمر بن عبدالعزيز –رضي الله عنه– والأوضاع السائدة قبل عصره

المطلب الأول: الأوضاع السائدة قبل تولي عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه– الخلافة

لقد امتاز الخلفاء في العهد الأموي، وخاصة عهد الخلفاء الأوائل من "بني أمية"– قبل حكم عمر – باهتمامهم بالجانب السياسي، والعسكري أكثر من الاقتصادي والاجتماعي؛ وذلك بسبب الظروف؛ التي مرت بها الخلافة الأموية؛ فقد كانت تقام ضدهم الثورات والفتن والحروب[1]، فكانوا منشغلين بالقضاء عليها؛ هذا الأمر أدى إلى حدوث ثغرة في الجانب الاقتصادي، ولا سيما الاجتماعي؛ الذي يتبعه ويتأثر به فكانت من عيوب تلك المرحلة أنه لا يختار لبعض وظائف الدولة الأنسب، وإنما الأقرب فتولى الخراج عمال غير أكفاء فانعكس ذلك سلبا على المجتمع، فقد ظهرت مظاهر الطبقية في المجتمع بحيث انتشرت مظاهر الرخاء والبذخ للأموال العامة للدولة من خلال القيام بصرفها على المقربين والأكثر تأييدا للسلطة؛[2]، ومع أن الخلفاء الأمويين الأوائل سعوا إلى نشر العدل والمساواة؛ إلا أنه لم يخل الأمر من انتشار الظلم في عهد "الوليد" قبل أن يمسك "سليمان" الخلافة، ومن مظاهر التعدي والظلم هو ما كان يقوم به "الحجاج" من تعد وظلم على الرعية؛ ولم يسكت "عمر"–رضي الله عنه– عن هذا الظلم فأرسل إلى "الوليد" يشكو إليه بعسف "الحجاج" أهل العراق واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق ولا جناية؛ ولما علم "الحجاج" بذلك كتب إلى الخليفة يحذره من اجتماع الثوار في المدينة وأمره بتعيين وال آخر بها فعزل "الوليد" "عمر"–رضي الله عنه–[3]؛ وقد بدأت مظاهر العدل تنتشر منذ أن عين "سليمان" "عمر بن عبد العزيز"–رضي الله عنه– وزيرا ومستشارا له؛ فنصحه بعزل من كان غير ملتزما بنشر العدل والمساواة؛ فأخذ بنصح "عمر" بأن عزل عمال "الحجاج"[4]، أما من الناحية العلمية فلا يخفى اهتمام الناس بالعلم والعلماء في عهد "الوليد"؛ ولكن انشغالهم بأمور الدنيا غلب على حالهم؛ فقد روى في

(1) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر–بيروت، 1358هـ، د ط، 195/6، 296–272.

(2) ينظر: عبدالله أوغلو، الخليفة عمر عبدالعزيز خليفة يحتذى به مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، ج:1، ع: 4/ أكتوبر–2020م.

(3) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: 1، 1407هـ، 19/4.

(4) ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ، 15/ 245.

المنتظم: "كان "الوليد" يمر بالبقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل بيده؛ فيقول: بكم هذه فيقول بفلس؛ فيقول: زد فيها وما مات "الحجاج" حتى ثقل على "الوليد"، وكان "الوليد" صاحب بناء واتخاذ مصانع وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع، فولي "سليمان" وكان صاحب نكاح وطعام وكان الناس يلتقون فيسأل الرجل الرجل عن التزويج والجواري؛ فلما ولي "عمر بن عبدالعزيز" كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى ختمت؟ ومتى تختم؟"[1].

المطلب الثاني: سيرة عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه–

هو (عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب)، أمه (أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدي بن كعب) والده (عبد العزيز بن مروان)؛ كان أميرا لمصر، وولي عهد المؤمنين.

ولد عام 60هـ؛ وهو العام الذي توفي فيه "معاوية"–رضي الله عنه–، وقد تربى منذ صغره على الأخلاق الحسنة والآداب الرفيعة على يد أبيه "عبد العزيز بن مروان" أمير مصر وأمه الصالحة "أم عاصم"[2]، وقد أرسله والده إلى المدينة ليتأدب بها ويتعلم من أهلها[3]، فتربى في كنف أهل المدينة فورث منهم الورع والتقوى والعلم؛ وقد وصفه "ابن سعد" في الطبقات؛ بقوله: "كَانَ عُمَرُ بن عَبد العَزيز ثِقَةً مَأمونًا، لَهُ فِقهٌ وعِلمٌ، ووَرَعٌ، ورَوَى حَديثًا كَثيرًا، وكانَ إِمامَ عَدلٍ، –رَحمَهُ الله ورَضيَ عَنهُ–"[4].

وعين واليا بالمدينة في عهد الخليفة "الوليد"؛ وذلك سنة: 86هـ[5]، "فَسَار بِأَحْسَن سيرة وَكَانَ مَعَ ذَلِك يعصف رِيحه ويرخي شعره ويسبل إِزَاره ويتبختر فِي مشيته وَهُوَ مَعَ ذَلِك لَا يغمص عَلَيْهِ

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، 6/ 269.

(2) ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، دار الكتاب العربي– بيروت، 1987م، د ط، 3/ 15.

(3) ينظر: ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، ت: أحمد عبيد، عالم الكتب–بيروت، ط: 2، 1984م، 25.

(4) ابن سعد، الطبقات الكبير، ت: علي عمر، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط: 1، 2001م، 7/ 397.

(5) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، مرجع سابق، 6/ 427.

فِي بطن وَلَا فرج وَلَا حكم"[1]؛ وقد اتسعت رقعة ولايته على الحجاز كلها؛ وقد نشر العدل والرخاء في تلك المدة[2]، وكان مجتهدا في نصح الخليفة بالإصلاح ونشر العدل؛ فنصحه بعزل "الحجاج" لما لحق أهل العراق من الظلم، والجور بسببه فلما سمع بذلك "الحجاج" أرسل للخليفة يشيره بعزله ففعل ذلك[3]، وقد حزن لذلك "عمر"–رضي الله عنه– حتى بكى؛ ف"لما خرج –عمر بن عبدالْعَزِيز– من الْمَدِينَة الْتفت إِلَيْهَا وَبكى؛ وَقَالَ: يَا "مُزَاحم" أنخشى أَن نَكُون مِمَّن نفت الْمَدِينَة"[4].

أما عن خلافته فقد استخلفه أمير المؤمنين "سليمان" قبل وفاته، وقد أشار عليه بذلك "رَجَاء بن حَيْوَة الْكِنْدِيّ"؛ وكان "عمر"–رضي الله عنه– قد كره أن يتولى السلطة فلما أحس بذلك؛ قال ل"رجاء": "يَا "رَجَاء" إِنِّي أرى أَمِير الْمُؤمنِينَ فِي الْمَوْت وَلَا أَحْسبهُ إِلَّا سيعهد وَأَنا أناشدك الله إِن ذَكرنِي بِشَيْء من ذَلِك إِلَّا صددته عني وَإِن لم يذكرنِي أَن لَا تذكرني لَهُ فِي شَيْء"[5].

وقد بشره بالخلافة رجل من أهل الصلاح؛ فيروى: "رجل قد رأى فِي مَنَامه كَأَن قَائِلا من السَّمَاء ينظر إِلَيْهِ يَقُول أَتَاكُم الْعدْل واللين وَإِظْهَار الْعَمَل الصَّالح فِي الْمُصَلِّين؛ فَقَالَ لَهُ الرجل من هُوَ يَرْحَمك الله؛ فَنزل إِلَى الأَرْض وَكتب بِيَدِهِ "عمر" فاستخلف "عمر" فِي يَوْم تِلْكَ اللَّيْلَة"[6].

وبعدها بايعوه الرجال من أشرف القبائل فقبل وتولى الخلافة؛ وكان ذلك عام: 96 من يوم الجمعة[7]؛ ومنذ أن تولى "عمر"–رضي الله عنه– الخلافة بذل أقصى جهده في السير على منهج رسول الله–صلى الله عليه وسلم– وأصحابه– رضوان الله عليهم– فعم العدل والرخاء وانتشر الإسلام واتسعت رقعته؛ وقد شهدت كتب السير والتاريخ على صلاح مدة خلافته بما روي له من مواقف في الورع والتقوى والعدل والصلح والإصلاح؛ –سنكتفي بذكر أبرزها في المبحث القادم مخافة الإطالة والتكرار–؛ وظل على عهده إلى أن توفي سنة: 101هـ في رجب، وكانت خلافته

(1) ينظر: ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 26.
(2) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، مرجع سابق، 6/ 437، 447.
(3) ينظر: المرجع نفسه، 19/4.
(4) ينظر: ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 32.
(5) المرجع نفسه، 34.
(6) المرجع نفسه، 36.
(7) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، مرجع سابق، 6/ 550.

(سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام)، ومات وهو ابن (تسع وثلاثين سنة وأشهر)، ودفن بدير سمعان[1].

(1) ينظر: المرجع نفسه، 6/ 565.

المبحث الثاني: العدالة الوطنية والمصالحة الوطنية في سياسة عمر–رضي الله عنه–

المطلب الأول: مظاهر العدالة الاجتماعية في خلافة عمر–رضي الله عنه–

يختلف تحديد مفهوم العدالة الاجتماعية باختلاف تحقيق أبعادها في المجتمعات؛ فهناك من ينظر لها من جانب مقصور؛ فيعرفها بأنها: "تحقيق نوع من التضامن بين أبناء المجتمع على اختلاف قدراتهم المالية وتقليل الفوارق الضخمة بين مستوياتهم المعيشية، وذلك باستقطاع نسب معينة من دخول الأغنياء والمقتدرين، وردها على الفقراء والمحتاجين؛ لكفالة الحد الأدنى اللائق من مستلزمات الحياة لمختلف فئات المجتمع"[1].

وبالنظر إلى مظاهر العدالة في خلافة "عمر"–رضي الله عنه– نرى أنها تحققت بمفهومها الشامل الذي يشمل جميع جوانب الحياة في المجتمع وينطلق من أطر تشريعي دولي؛ لذا فهي حققت أبعادا واسعة لا حدود لها؛ فيمكن تعريفها؛ كالتالي: "هي الحالة التي ينتفي فيها الظلم والاستغلال والقهر والحرمان من الثورة أو السلطة أو كليهما؛ والتي يغيب فيها الفقر والتهميش والاقصاء الاجتماعي، وتنعدم الفروق غير المقبولة اجتماعيا بين الأفراد والجماعات والأقاليم داخل الدولة؛ التي يتمتع فيها الجميع بحقوق اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وبيئية متساوية وحريات متكافئة؛ والتي يتاح لأعضاء المجتمع فرص متكافئة لتنمية قدراتهم وممتلكاتهم، وإطلاق طاقاتهم من مكامنها، وحسن توظيفها لصالح الفرد، وبما يكفل له إمكانية الحراك الاجتماعي من جهة، ولصالح المجتمع في الوقت نفسه من جهة أخرى؛ والتي لا يتعرض فيها المجتمع للاستغلال الاقتصادي وغيره من مظاهر التبعية من جانب مجتمع أو مجتمعات أخرى"[2].

ذهب إلى هذا التعريف الباحث: "إبراهيم العيساوي"؛ ومما أثار إعجابي هو أنه تعريف شامل كامل؛ من خلاله تتحقق قوة الدولة، وسيادتها بحيث يحقق أبعادا إقليمية تحفظ المجتمع من مظاهر التبعية، والظلم من المجتمعات الأخرى؛ التي تتبع، نظم وأجهزة مختلفة أخرى؛ ولكن قد يكون تغيير

---

(1) ينظر: ماجدة الحلو، العدالة الاجتماعية بين القرآن والدستور، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية–كلية الحقوق– جامعة الإسكندرية، ع: 1، 2015، 371.

(2) إبراهيم العيساوي، العدالة الاجتماعية والنماذج التنموية مع اهتمام خاص بحالة مصر وثروتها، مركز الأبحاث ودراسة السياسات–بيروت، ط: 1، 2014م، 14.

مصطلح "الحالة" بمصطلح آخر أفضل؛ لأن الأحوال عابرة تأتي، وتذهب فالأنسب أن نقول هي القوة التشريعية؛ التي يتحقق من خلالها نفي الظلم والقهر... إلخ.

عزم "عمر"–رضي الله عنه– على تحقيق العدالة، وتطبيق الشريعة منذ اللحظات الأولى؛ التي تولى فيها الخلافة؛ وقد تبين ذلك من خلال خطبته الأولى؛ التي قال فيها: "سنّ رَسُول الله –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم–، وولاة الْأَمر من بعده سننا الْأَخْذ بهَا اعتصام بِكِتَاب الله ،وَقُوَّة على دين الله، وَلَيْسَ لأحد تبديلها، وَلَا تغييرها، وَلَا النّظر فِي أَمر خالفها من اهْتَدَى بهَا فَهُوَ مهتد، وَمن استنصر بهَا فَهُوَ مَنْصُور وَمن تَركهَا وَاتبع غير سَبِيل الْمُؤمنِينَ ولاه الله مَا تولى وأصلاه جَهَنَّم وَسَاءَتْ مصيرا"[1].

وقد طبق العدالة الاجتماعية بجميع أبعادها؛ ومظاهرها؛ التي هي في الواقع تحقيق لمنهج الله– تعالى– ورسوله–صلى الله عليه وسلم–؛ على النحو التالي:

أولا: العدالة في حرية التعبير وتحقيق مبدأ الشورى: إن "عمر"–رضي الله عنه– لم يرتض لنفسه الخلافة إلا بعدما قامت على مبدأ الشورى؛ الذي يضمن لجميع فئات المجتمع المشاركة في اختيار الخليفة دون تمييز ولا تفريق بين فرد وآخر أو قبيلة دون أخرى[2]، وتطبيقه لذلك ينطلق من إيمانه المطلق بأن الحاكمية المطلقة لله–تعالى– فهو المشرع، فقد كان يأمر الناس بقول الحق وعدم قبول المعصية ولو من الخليفة نفسه، وفي هذا دليل على حرصه على تطبيق العدالة في حرية إبداء الرأي من جميع الناس؛ ويحقق ذلك؛ قوله: "يا أيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم"؛ وقال: "ما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة، أيها الناس لست بقاضٍ وإنما منفذ لله ولست بمبتدع، ولكنّي متبع ليس لمخلوقٍ طاعة في معصية الخالق، لست بخيركم وإنما أنا رجل منكم، أيها الناس إنَّ أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم"[3].

وقد دعا "عمر"–رضي الله عنه– بعشرة من فقهاء المدينة وكبار علمائها، وجعل منهم مجلسا استشاريا دائما حيث قال: "إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعوانا على الحق، ما أريد

(1) ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 40.
(2) ينظر: المرجع نفسه، 35.
(3) المرجع نفسه، 40.

أن أقطع أمرا إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فأُحرج بالله على أحدٍ بلغه ذلك إلا بلغني، فجزوه خيرا وافترقوا"[1].

ثانيا: العدالة في الحكم وأجهزة الدولة: إن "عمر"–رضي الله عنه– عندما أراد أن يطبق مبدأ العدالة سار بحنكته وحكمته على فقه الأولويات فبدأ بالعدالة في اختيار الخليفة أولا ثم نظر في حال الولاة؛ فمن كان منهم ظالما جائرا عزله ولم ينظر لا في نسبهم ولا حسبهم وإنما ينظر في أفعالهم ومواقفهم؛ فكان هدفه نشر العدل والقضاء على الظلم والفساد؛ وممن عزلهم "ابن الريان" لظلمه[2].

ثالثا: العدالة الاجتماعية في الاقتصاد: ويتفرع من هذا الجانب أبعاد كثيرة أهمها:

1– رد المظالم لأهلها: سعى "عمر"–رضي الله عنه– بسياسته العميقة إلى تحقيق العدل بين الناس فبدأ أولا بسياسة رد المظالم إلى أهلها، وهو أيضا في هذا يسير على منهج فقه الأولويات فبدأ أولا بنفسه؛ فقال: "إنه لا ينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي"[3] فهو قبل أن يتولى الحكم كان أميرا من أمراء البيت الأموي؛ فقد كان له من الثروة والمتاع قدر كبير، وكان من أكثر الناس اهتماما بملبسه، وكان من أعطر الناس فيتعطر بأرقى العطور، فلما تولى الخلافة عزم بإقامة ثورة لرد المظالم؛ أول ما بدأ به: تنازل على كثير من متاعه ورده إلى بيت المال؛ فقد روى عن "الصواف": أنه قَالَ: أَمَرَنِي "عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ" وَهُوَ وَالٍ عَلَى الْمَدِينة أن أَشْتَرِيَ لَهُ ثِيَابًا فَاشْتَرَيْتُ لَهُ ثِيَابًا؛ فَكَانَ فِيهَا ثَوْبٌ بِأَرْبَعِمِائَةٍ، فَقَطَعَهُ قَمِيصًا ثُمَّ لَمَسَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ: مَا أَخْشَنَهُ وَأَغْلَظَهُ! ثُمَّ أَمَرَ بِشِرَاءِ ثَوْبٍ لَهُ وَهُوَ خَلِيفَةٌ فَاشْتَرُوهُ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا فَلَمَسَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَلْيَنَهُ وَأَدَقَّهُ.

وقَالَ: أَخْبَرَنَا "عليُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ طُعْمَةَ بْنِ غَيْلاَنَ" وَ "مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ" ؛قَالا: كَانَ "عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ" مِنْ أَعْطَرِ قُرَيْشٍ وَأَلْبَسَهَا، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ كَانَ مِنْ أَخَسِّهِمْ ثَوْبًا وَأَجْشَبِهِمْ عَيْشًا وَقَدِمَ الْفُضُولَ"[4].

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، 5/ 257.

(2) ينظر: ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 30.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

وعندما بدأ برد المظالم "نظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم؛ فقال هذا مما كان "الوليد بن عبد الملك" أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب، فخرج منه"[1].

ثم نظر إلى حال زوجته وأولاده؛ فطلب من زوجته "فاطمة بنت عبدالملك" أن ترد ما حازت من ثروة إلى بيت المال؛ حتى ما كانت تتزين به من حلي وجواهر؛ كذلك فعل مع أولاده حتى ظهرت عليهم مظاهر الفقر والتقشف؛[2] فقد روى أنه: "جمع ولده حوله فلما رآهم استعبر ثم؛ قال بأبي وأمي من خلفتهم بعدي فقراء؛ فقال له "مسلمة بن عبد الملك": يا أمير المؤمنين فتعقب فعلك وأغنهم فما يمنعك أحد في حياتك، ولا يرتجعه الوالي بعدك فنظر إليه نظر مغضب متعجب؛ فقال يا "مسلمة" منعتهم إياه في حياتي وأشقى به بعد وفاتي"[3].

ثم انتقل إلى رد المظالم من بقية الناس؛ ولحرصه على ذلك أمر بدخول المظلوم عليه بغير إذن؛ فقال: "ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له علي"[4].

2- عدالة توزيع الدخول والثروات: حرص "عمر"-رضي الله عنه- على توزيع الدخول والثروات بشكل يحقق العدالة، وينصف الفقراء والمظلومين[5]؛ فقام بزيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها، وتأمين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة وموارد بيت المال الأخرى[6]؛ فقد خطب الناس يومياً "... ما أحد منكم تبلغني حاجته إلا حرصت أن أسدّ من حاجته ما قدرت عليه، وما أحد لا يسعه ما عندي إلا وددت أنه بُدِئ بي وبلحمتي الذي يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم"[7]، وفيما يخص الصدقات حرص على العدالة في توزيعها؛ فقد كتب إلى "عُرْوَة بن

(1) المرجع نفسه، 5/ 263.

(2) ينظر: المرجع نفسه، 5/ 263؛ ينظر أيضا: محمد عمارة، عمر بن عبدالعزيز ضمير الأمة وخامس الخلفاء الراشدين، دار الوحدة-بيروت، ط: 2، 1985م، 86، 87.

(3) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ت: سمير جابر، دار الفكر-بيروت، ط: 2، د ت، 9/ 303.

(4) ينظر: ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 41.

(5) ينظر: كمال الدين محمد، العدالة الاجتماعية في السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية (دراسة مقارنة)، مجلة جامعة الأزهر-كلية الشريعة والقانون-أسيوط ، ج:2، ع: 33، 2021م، 1309.

(6) ينظر: علي الصلابي، الدولة الأموية، دار المعرفة-بيروت، ط:2، 1429 هـ، 309/2.

(7) ينظر: ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 43.

مُحَمَّد": "أما بعد فقد جَاءَنِي كتابك تذكر أَن من كَانَ قبلك من الْعمَّال قد وضعُوا على أهل الْيمن صَدَقَاتهمْ وظائف إِن افتقروا لم ينقصوا وَإِن استغنوا زيد عَلَيْهِم وتؤامرني فِي ذَلِك ولعمري إِن هَذَا للجور حق الْجور فَإِذا جَاءَك كتابي هَذَا فخذهم بِمَا ترى عَلَيْهِم من الْحق ثمَّ قسم ذَلِك على فقرائهم واقعد على طَرِيق الْحَاج قوما ترضاهم وترضى دينهم وأماناتهم يقوون الضَّعِيف ويغنون الْفَقِير فوَاللَّه لَو لم يأتني من قبلك إِلَّا كف لرأيته من الله قسما عَظِيما وَالسَّلام"[1].

وقد نجح في تطبيق العدالة والمساوة حتى أنه لم يوجد فقير في إفريقية في خلافته؛ قالَ "يحيى بن سعيد": "بَعَثَنِي "عمر بن عبد الْعَزِيز" على صدقَات إفريقية فاقتضيتها وَطلبت فُقَرَاء نعطيها لَهُم فَلم نجد بهَا فَقِيرا وَلم نجد من يَأْخُذهَا مني قد أغْنى "عمر بن عبد الْعَزِيز" النَّاس فاشتريت بهَا رقابا فأعتقتهم وولاؤهم للْمُسلمين"[2].

3- رفع الضرائب عن الرعية: قبل زمن "عمر"-رضي الله عنه- هلك الناس بسبب الضرائب فظهرت الفروقات الاجتماعية بشكل بائن؛ فتبع ذلك الظلم والتعدي؛ وقد سعى "عمر"-رضي الله عنه- عند توليه الخلافة إلى رفع الضرائب فأرسل إلى عماله كتابا يقرأ على كل الناس بدون تمييز: "فاقرأ كتابي هَذَا على أهل الأَرْض بِمَا وضع الله عَنْهُم على لِسَان أَمِير الْمُؤمنِينَ من الْمَظَالِم، والتوابع الَّتِي كَانَت تُؤْخَذ مِنْهُم فِي النيروز والمهرجان وَثمن الصُّحُف وَأجر الفيوج وجوائز الرُّسُل وأجور الجهابذة وهم القساطرة وأرزاق الْعمَّال وأنزالهم وَصرف الدَّنَانِير الَّتِي كَانَت تُؤْخَذ مِنْهُم من فضل مَا بَين السعرين فِي الطَّعَام الَّذِي كَانَ يُؤْخَذ مِنْهُم فضل مَا بَين الكيلين وليحمدوا الله – عز وجل-"[3].

4- عدله في حق الحرية الاقتصادية لكل فئات المجتمع: وهذا تحديدا من شأنه إرساء مبدأ العدالة، ونبذ الفروقات الاجتماعية بين الناس فحق التجارة والانتفاع متاح للجميع؛ يؤكد ذلك قوله: "...، وإن من طاعة الله التي أنزل في كتابه أن يدْعى الناس إلى الإسلام كافة وأن يبتغي الناس بأموالهم في البر والبحر ولا يمنعون، ولا يحبسون"[4]، وقال: "أما الْبَحْر فَإِنَّا نرى سَبيله سَبِيل الْبر

(1) المرجع نفسه، 62.
(2) المرجع نفسه، 65.
(3) المرجع نفسه، 141.
(4) المرجع نفسه، 83.

قَالَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [1] فَأذن فِيهِ أَن يتجر فِيهِ من شَاءَ وَأرى أَن لَا نحول بَين أحد من النَّاس، وَبَينه فَإِن الْبر وَالْبَحْر لله جَمِيعًا سخرهما لِعِبَادِهِ يَبْتَغُونَ فيهمَا من فَضله فَكيف نحول بَين عباد الله وَبَين مَعَايشهمْ"[2].

5- عدله في المساواة بين الرجال والنساء في الحقوق: لم يقتصر عدله على توزيع الحقوق على الرجال وإنما ساوى بين الرجل والمرأة في أداء الحقوق؛ فيروى أن مرأة جاءت له من أهل الكوفة؛ فقالت: "يا أمير المؤمنين، مَا أصبت أَنا وَلَا بَنَاتِي مِمَّا قسم أَمِير الْمُؤمنِينَ قَلِيلا وَلَا كثيرا؛ قَالَ: وَمن بك؛ قَالَت: العرفاء والمناكب؛ قَالَ: ارجعي إِلَيّ حَتَّى العشية فأكتب لَك ثمَّ قَالَ: مَه فلعلي لَا أبلغ العشاء ادخلي على "فَاطِمَة بنت عبد الْملك" يَعْنِي زَوجته فَبينما هِيَ عِنْد "فَاطِمَة" إِذْ قَامَ عمر فسكب وضُوءً لنَفسِهِ؛ فَقَالَت: الْمَرْأَة ل"فاطمة بنت عبد الْملك" أَلا تأخذين عَلَيْك ثِيَابك من هَذَا الرجل يرى رَأسك مكشوفا؛ قَالَت: لَهَا أما تعرفين هَذَا هَذَا أَمِير الْمُؤمنِينَ يسْكب لنَفسِهِ وضُوءً قَالَت: الْمَرْأَة ثمَّ دَعَاني وَكتب لي كتابا"[3].

6- عدله مع من أسلم من الذميين: لم يفرق "عمر"-رضي الله عنه- في التعامل بين المسلمين أصالة وبين حديثي العهد بالإسلام؛ سواء كانوا نصارى أو مجوسا أو يهودا؛ فأكد على المساواة بينهم وبين المسلمين في توزيع الحقوق والواجبات؛ قال: "فَمن أسلم من نَصْرَانِيّ أَو يَهُودِيّ أَو مَجُوسِيّ من أهل الْجِزْيَة الْيَوْم فخالط عَم الْمُسلمين فِي دَارهم وَفَارق دَاره؛ الَّتِي كَانَ بهَا فَإِن لَهُ مَا للْمُسلمين، وَعَلِيهِ مَا عَلَيْهِم وَعَلَيْهِم أَن يخالطوه وَأَن يواسوه"[4].

7- عدله مع ذوي الاحتياجات الخاصة: إن "عمر"-رضي الله عنه- يعلم يقينا أن الله-تعالى- سيسأله عن كل حق فتورع في إقامة العدل وأداء الحقوق حتى طال كل الخلق وكان كثير البكاء يحيط به الخوف من التقصير في كل وقت وحال؛ فيروى "أنه كان ذات مرة كان يبكي بشدة فسألته زوجته عن سبب ذلك؛ فقال: تقلّدت أمر أمة "محمد" -صلى الله عليه وسلم-، فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي

(1) الجاثية، 12.
(2) المرجع نفسه، 87.
(3) المرجع نفسه، 44.
(4) المرجع نفسه،84.

العيال في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم "محمد" –صلى الله عليه وسلم – فخشيت ألا تثبت حجتي عند خصومته، فرحمت نفسي فبكيت"[1]؛ وقد طال عدله ذوي الاحتياجات الخاصة فاهتم بأمرهم؛ فقيل عنه أنه "إذا كثر عِنْده أرقاء الْخمس فرقه بَين كل مقعدين وَبَين كل زمنين غُلَاما يَخْدُمهُمَا وَلكُل أعمى غُلَاما يَقُودهُ"[2].

ثالثا: العدالة الاجتماعية في تطبيق الحدود والقضاء: حرص "عمر"–رضي الله عنه– إلى جانب ما سبق على العدل في تطبيق الحدود والجنايات والسير في ذلك على الشريعة الإسلامية؛ فقد كتب إلى أحد عماله: "وَإِن دين الله الَّذِي بعث بِهِ "مُحَمَّدًا" –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم_ كِتَابه الَّذِي أنزل عَلَيْهِ أَن يطاع الله فِيهِ وَيتبع أمره ويجتنب مَا نهى عَنهُ وتقام حُدُوده وَيعْمل بِفَرَائِضِهِ وَيحل حَلَاله وَيحرم حرَامه ويعترف بِحقِّهِ وَيحكم مَا أنزل فِيهِ فَمن اتبع هدى الله اهْتَدَى وَمن صد عَنهُ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ) [3]، وَإِن من طَاعَة الله الَّتِي أنزل فِي كِتَابه أَن يَدْعُو النَّاس إِلَى الْإِسْلَام كَافَّة وَأَن يفتح لأهل الْإِسْلَام بَاب الْهِجْرَة وَأَن تُوضَع الصَّدقَات والأخماس على قَضَاء الله وفرائضه وَأَن يَبْتَغِي النَّاس بِأَمْوَالِهِمْ فِي الْبر وَالْبَحْر لَا يمْنَعُونَ وَلَا يحبسون"[4].

وقد اهتم "عمر"–رضي الله عنه– بوضع قضاة أتقياء فاشترط للقاضي شروطا؛ ذكرها "ابن سعد" في الطبقات: "عن "مزاحم بن زفر"؛ قال: قدمت على "عمر بن عبد العزيز" في وفد أهل الكوفة فسألنا عن بلدنا وأميرنا وقاضينا، ثم قال: خمس إن أخطأ القاضي منهن خصلة كانت فيه وصمة، أن يكون فهيماً، وأن يكون حليماً، وأن يكون عفيفاً، وأن يكون صليباً، وأن يكون عالماً يسأل عما لا يعلم[5]".

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرناؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1405هـ، 132/5.
(2) ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 54.
(3) الممتحنة، 1.
(4) ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 82، 83.
(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، 287/5.

وقد تحرى العدل في تطبيق الأحكام؛ فكان يتريث في حكمه مخافة أن يقع في الظلم؛ "فإذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيام، ثم عاقبه كراهة أن يعجل في أول غضبه"[1].

وله في تحري العدل عند تطبيق الحدود والقصاص بالسير على منهج الرسول–صلى الله عليه وسلم– مواقف كثيرة مما يطول ذكرها في هذا المقام؛ إذ لم يفرق في تطبيق الحدود بين الأجناس؛ وكان ينهى عن التعدي والظلم في العقوبات؛ فقد كتب إلى أمراء الأجناد: "...، وأنظروا من في السجون ممن قام عليه الحق فلا تحبسه حتى تقيم عليه، ومن أشكل أمره إلي فيه، واستوثق من أهل الزعارات فإن الحبس لهم نكال، ولا تعد في العقوبة، ويعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال، وإذا حبست قوماً في دين فلا تجمع بينهم وبين أهل الزعارات في بيت واحد، ولا حبس واحد، وأجعل للنساء حبساً على حدة، وانظر من تجعل على حبسك ممن تثق به ومن لا يرتشي فإن من ارتشى صنع ما أمر به"[2].

كما اهتم بالتحري في الكيل والميزان؛ قال: "...، ثم إن الْمِكْيَال وَالْمِيزَان نرى فيهمَا أمورا علم من يَأْتِيهَا أَنَّهَا ظلم إِنَّه لَيْسَ فِي الْمِكْيَال زيغ إِلَّا من تطفيف وَلَا فِي الْمِيزَان فضل إِلَّا من بخس فنرى أَن تَمام مكيال الأَرْض وميزانها أَن يكون وَاحِدًا فِي جَمِيع الأَرْض كلهَا"[3].

المطلب الثاني: المصالحة الوطنية في خلافة عمر –رضي الله عنه–وقوة دولته

إن تحقيق العدالة والمساواة، وتطبيق شرع الله–تعالى– يقتضي تبعا لذلك تحقق المصالحة؛ فالمصالحة من نتائج تحقيق العدالة؛ فغياب الفروقات بين أفراد المجتمع، ونشر العدل والقضاء على التعدي بجميع أنواعه بشأنه أن يقلل الخصومات والنزاعات بين القبائل والأفراد، وينشر الأمن والصلح في المجتمع وهذا ما التمسناه في خلافة عمر من خلال سياسته في تطبيق العدالة؛ التي اتبعها في جميع شؤون الحياة، فقد كان المجتمع في زمنه تفشى فيه الخصام والنزاع، واستيقظت في قلوب بعض الناس الجاهلية وتفاخرها بالآباء حتى عادت العصبية؛ التي هي بقايا فتنة الخوارج والشيعة، فأول ما بويع عمر أمر بمنع الناس عن سب علي–رضي الله– عنه، وقد نصر مولى

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ت: محمد عبد الحميد، مطبعة السعادة–مصر، ط: 1، 1371هـ، 201.
(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، 276/5.
(3) المرجع نفسه، 87.

"علي"–رضي الله عنه–، فيروى أنه جاءه قائلا: "يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل المدينة، وقد حفظت القرآن والفرائض، وليس عطاء لي في الديوان؛ فقال "عمر": ولم يرحمك الله، من أي الناس أنت؟؛ فأجابه: رجل من موالي "بني هاشم"؛ فقال "عمر": مولى من؟؛ فسكت زريق، فصاح به "عمر": أتكتمني من أنت؟ فقال "زريق" بصوت خافت: أنا مولى "علي بن أبي طالب"؛ فقال "عمر"، وأنا مولى "علي"، أتكاتمني ولاء "علي""[1].

فاستطاع بحكمته أن يطفئ نار الفتنة والخصومات فمع الرغم من انتشار الفرق في عصره؛ كالشيعة والخوارج في زمنه إلا أنه تعامل معهم جميعا بمبدأ السلم والتعايش، ولم يفرق بينهم وبين سائر المسلمين؛ لذا اتفقت على عدله وورعه كل تلك الفرق[2]؛ وقد بدأ –رضي الله عنه– أولى خطوات المصالحة بإلغاء قانون التجريم بسبب اختلاف الرأي والأهداف فلم تعد الدولة تعاقب على الرأي أو النشاط السياسي؛[3] بل من شدة عدله وحرصه على السلم أقحم بعضهم في أجهزة الدولة ممن رأى فيهم الصلح والعدل، فتقلد أجهزة الدولة رجالا من مخالفيه أثناء خلافته[4].

ومما سعى فيه لنشر المصالحة بين فئات المجتمع مع اختلاف توجهاتهم هو حرصه على تقبل آراء كل الفرق وقبول النصيحة منهم وله مواقف كثيرة مع الخوارج تبين تعامله بحلم وحنكة معهم؛ وحرصه على عدم التصادم والخصومة معهم: فبعد أن كان الخوارج يتعاملون بالسيف وسفك الدماء والحروب أرغمهم على التعامل بالكلمة والحجة فيروى بأنه "ودخل رجلَانِ من الْخَوَارِج على "عمر بن عبد الْعَزِيز"؛ فَقَالَا: السَّلَام عَلَيْك يَا إِنْسَان؛ فَقَالَ: وعليكما السَّلَام يَا إنسانان؛ قَالَا: طَاعَة الله أَحَق مَا اتبعت؛ قَالَ: من جهل ذَلِك ضل؛ قَالَا: الْأَمْوَال لَا تكون دولة بَين الْأَغْنِيَاء؛ قَالَ: قد حرموها؛ قَالَا: مَال الله يقسم على أَهله؛ قَالَ: الله بَين فِي كِتَابه تَفْصِيل ذَلِك؛ قَالَا: تُقَام الصَّلَاة لوَقْتهَا؛ قَالَ: هُوَ من حَقّهَا؛ قَالَا: إِقَامَة الصُّفُوف فِي الصَّلَوَات؛ قَالَ: هُوَ من تَمام السّنة؛ قَالَا: إِنَّا بعثنَا إِلَيْك؛ قَالَ: بلغا وَلَا تهابا؛ قَالَا: ضع الْحق بَين النَّاس؛ قَالَ: الله أَمر بِهِ قبلكما؛ قَالَا: لَا حكم إِلَّا لله؛ قَالَ: كلمة حق إِن لم تَبْتَغُوا بهَا بَاطِلا قَالَا ائْتمن الْأُمَنَاء قَالَ هم أعواني، ...قَالَا فَمَا نقُول

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ت: عمرو العمروي، دار الفكر، 1415هـ، د ط، 18/ 137.
(2) ينظر: محمد عمارة، عمر بن عبدالعزيز ضمير الأمة وخامس الخلفاء الراشدين، مرجع سابق، 37.
(3) ينظر: المرجع السابق، 40؛ نقلا عن فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ت: محمد أبوريدة، د ط، 1067م، 299.
(4) ينظر: أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، ت: سُوسَنّة دِيفَلْد – فِلْزَر، دار مكتبة الحياة – بيروت، 1380هـ، د ط، 25.

لإِخْوَانِنَا قَالَ مَا رَأَيْتُمَا وسمعتما قَالَا تردنَا على دَوَاب الْبَرِيد قَالَ لَا هُوَ من مَال الله لَا نطيبه لَكمَا قَالَا فَلَيْسَ مَعنا نَفَقَة قَالَ أَنْتُمَا إِذن ابْنا سَبِيل عَليّ نفقتكما"[1].

وقد كتب لهم كتابا يتبين فيه حرصه على نبذ النزاعات والحروب: "أما بعد أوصيكم بتقوى الله (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [2] ، أما بعد فقد بَلغنِي كتابكُمْ وَالَّذِي كتبتم فِيهِ إِلَى يحيى بن يحيى وَسليمَان بن دَاوُد وقدوم صاحبيكم وَالَّذِي أَتَى إِلَيْهِمَا وَإِن الله تبَارك وَتَعَالَى؛ يَقُول:(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) [3]، ...وَنحن ندعوكم إِلَيْهِمَا هَذِه نصيحة منا نصحنا لكم فِيهَا فَإِن تقبلوها فَذَلِك بغيتنا وَإِن تردوها على من جَاءَ بهَا فقديما مَا استغش الناصحون ثمَّ لم نر ذَلِك وضع شَيْئا من حق الله وَقد قَالَ العَبْد الصَّالح لِقَوْمِهِ : (إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [4].

وقال الله –عز وَجل–(قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) [5][6].

كما كان يتلقى النصائح من مخالفيه؛ فيروى أن "غيلان الدمشقي" كتب له كتابا ينصحه فيه فدعاه وخاطبه قائلا: "أعنّي على ما أنا فيه؟؛ فقال "غيلان": ولّني بيع الخزائن وردّ المظالم!؛ فولاه"[7].

وقد أتاح السلام العام "لبني هاشم" أيضا فأتاح لهم البدء في التحرك السياسي؛ بعد أن كان الخوف قد أحاط بهم فلم يستطيعوا التحرك ضد "بني أمية" بدأ العباسيون الدعوة إلى انتقال الخلافة

(1) ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 147.
(2) الطلاق، 2، 3.
(3) الصف، 7.
(4) هود، 3.
(5) يوسف، 108.
(6) ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 80.
(7) أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، مرجع سابق، 25.

للرضا من آل البيت ووجه "محمد بن علي بن عبد الله بن العباس" الدعاة يدعون إليه وإلى آل بيته سنة 100هـ على عهد "عمر"–رضي الله عنه–[1].

وقد استقبل أعيان "بني أمية" وتقبل نفورهم له بسبب رد المظالم؛ ولم ينههم عن ذلك بل استقبل جل آرائهم واحترمها ورد عليهم بالحجة والبرهان بعيدا عن العنف والسجن"[2].

وإلى جانب ذلك سعى إلى الصلح بين الناس؛ و تجنب الإصلاح بالظلم؛ فقال: "من لم يصلحه إلَّا الغشم فَلَا يصلح وَالله لَا أصلح النَّاس بِهَلَاك ديني"[3].

وله في المصالحة مواقف كثيرة فقد أصلح بين رجل وعمه؛ فيروى أنه "جَاء رجل من أهل الْمشرق هُوَ وَابْن أَخ لَهُ فاختصما عِنْد "عمر بن عبد الْعَزِيز"؛ قَالَ: بَيْنَمَا الشَّيْخ يُرِيد الصِّلَة وَالصُّلْح إِذْ غضب فدعته نَفسه إِلَى القطيعة؛ فَنظر إِلَيْهِ "عمر"؛ فَقَالَ: مَا رَأَيْت أحلى مِنْك وَلَا أَمر وَلَا أبعد وَلَا أقرب بَيْنَمَا أَنْت تُرِيدُ الصِّلَة وَالصُّلْح دعتك نَفسك إِلَى القطيعة وَالظُّلم وَله شاربان قد غطيا فَاه؛ فَقَالَ: يَا مينا لحجام لَهُ أخرج هَذَا الشَّيْخ من الصَّفّ ثمَّ خُذ لي من شَاربه ثمَّ ائْتِنِي بِهِ فَفعل؛ فَقَالَ: "عمر" هَذَا أطيب وأنظف مَعَ الْفطْرَة هَلُمَّ إِلَى الصُّلْح أَيهَا الشَّيْخ أَنْت وَابْن أَخِيك قَالَا نعم فَأصْلح ذَات بَينهمَا فَرفع "عمر" يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاء؛ وَقَالَ: الْحَمد لله"[4].

وأصلح بين "الْوَلِيد بن هِشَام" و "الْفُرَات بن مُسلم بعد" أن بغى الأول على الثاني"[5].

إن تحقيق العدالة الاجتماعية والمصالحة الوطنية اقتضت بناء دولة قوية وتوحيد كلمة الأمة مع اختلاف الآراء؛ ومظاهر قوة الدولة شملت جميع جوانب الحياة كما سبق وأعظم تلك المظاهر أنه أغنى الناس عن الحاجة فقضى على الجوع والفقر؛ فيروى أن رجل من ولد "زيد بن الْخطاب"؛ قال: "إِنَّمَا ولي "عمر بن عبد الْعَزِيز" "سنتَيْن وَنصفا فَذَلِك ثَلَاثُونَ شهرا" فَمَا مَاتَ حَتَّى جعل الرجل

(1) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، مرجع سابق، 562/6؛ ينظر أيضا: محمد عمارة ، 56.

(2) ينظر: ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، مرجع سابق، 130، 131.

(3) المرجع نفسه، 106.

(4) المرجع نفسه.

(5) المرجع نفسه، 134.

يأتينا بِالْمَالِ الْعَظِيم فَيَقُول اجعلوا هَذَا حَيْثُ ترَوْنَ فِي الْفُقَرَاء فَمَا يبرح حَتَّى يرجع بِمَالِه يتَذَكَّر من يَضَعهُ فيهم فَمَا يجده فَيرجع بِمَالِه قد أغْنى الله على يَد "عمر بن عبد الْعَزِيز" النَّاس"[1].

وما كانت هذه القوة الإدارية، والاقتصادية، والقضائية، والاجتماعية، وما كان الأمن والاستقرار والرخاء يتحقق في دولته إلا لأنه طبق الشريعة الإسلامية بعيدا عن العنف والتعدي والحروب؛ فكانت خلافته خير مثال لتطبيق دين الإسلام الذي جاء بالسلام والمحبة والتعايش السلمي بعيدا عن العنف والتطرف والإرهاب؛ فهنيئا للأمة الإسلامية التي ولدت من رحمها "عمر"– رضي الله عنه– فكف ألسنة الطاعنين في الدين الإسلامي والمتعدين على حرمته والمشككين في سلمه.

(1) المرجع نفسه، 106.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى وسلم على نبي المرسلين وخاتم النبيين، وبعد البحث والدراسة في خلافة عمر توصلت للنتائج والتوصيات الآتية:

1- طبق "عمر بن عبد العزيز"-رضي الله عنه- منهج الشريعة الإسلامية وسار في ذلك على منهج الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وأصحابه من الخلفاء الراشدين حتى لقب بالخليفة الخامس لشدة اتباعه لهم.

2- تميزت خلافته بتطبيق العدالة الاجتماعية في جميع جوانب الحياة، وبكل أبعادها، كالعدالة في أجهزة الحكم والاقتصاد والقضاء.

3- سار على منهجية فقه الأولويات في سياسته عند الإصلاح وتطبيق العدالة، فنظر أولا في أجهزة الحكم والدولة فعزل من عرف بجوره وظلمه، ثم انتقل إلى العدالة الاقتصادية؛ وسار في ذلك أيضا على فقه الألويات فبدأ أولا برد المظالم وقد بدأ بنفسه ثم زوجته ثم أولاده ثم بقية الناس.

4- عرف بحكمته في التعامل مع الفرق المخالفة وأصحاب الديانات الأخرى بالعلم والكلمة والحجة بعيدا عن السلاح والحروب.

5- استطاع تحقيق المصالحة الوطنية مع اختلاف الفرق في المجتمع؛ كالخوارج والشيعة وغير المسلمين، بتقبلهم في المجتمع وسماع صوتهم وضمان حقوقهم.

6- من أبرز أسباب نجاح تحقيق المصالحة الاجتماعية في خلافته هو سعيه للصلح بالحق بين الناس، وتحقيقه للعدالة الاجتماعية.

7- تمثل خلافته مثالا إسلاميا حيا للتعايش السلمي بين الناس مع اختلاف أجناسهم وديانتهم وتوجهاتهم فقضى على الخلافات والنزاعات والحروب، ووحد الأمة.

8- من آثار تحقيق العدالة الاجتماعية والمصالحة الوطنية قوة الدولة وعظمتها آنذاك.

ثانيا: التوصيات

1- الاهتمام بسيرة "عمر بن عبد العزيز"-رضي الله عنه- وسياسته بالدارسة والبحث من قبل البحاث والأكاديميين وإبرازها للعالم؛ لأنها تمثل مثالا حقيقيا لديننا الإسلامي بعيدا عن التطرف

والإرهاب، وما أحوجنا لذلك اليوم بعد أن شوهت صورة الإسلام وحقيقته.

2- الاستفادة من سياسته –رضي الله عنه- في تحقيق العدالة الاجتماعية والمصالحة الوطنية من قبل المسؤولين بتطبيقها على الواقع المعاش.

و في الختام أدعو الله أن يحفظ بلادنا وينشر في ربوعها العدل والصلح والرخاء والأمن والسلام، وأن يوفقنا جميعا على أن نسير بها إلى الرقي والتقدم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. إبراهيم العيساوي، العدالة الاجتماعية والنماذج التنموية مع اهتمام خاص بحالة مصر وثروتها،
2. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر–بيروت، 1358هـ، د ط.
3. ابن الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، ت: أحمد عبيد، عالم الكتب–بيروت، ط: 2، 1984م.
4. ابن سعد، الطبقات الكبير، ت: علي عمر، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط: 1، 2001م.
5. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ت: عمرو العمروي، دار الفكر، 1415هـ، د ط.
6. أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، ت: سُوسَنّة دِيفَلْد – فِلْزَر، دار مكتبة الحياة – بيروت، 1380هـ، د ط.
7. الأصفهاني، الأغاني، ت: سمير جابر، دار الفكر–بيروت، ط: 2، د ت.
8. الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، دار الكتاب العربي– بيروت، 1987م، د ط.
9. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرناؤوط ومن معه، مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1405هـ.
10. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ت: محمد عبد الحميد، مطبعة السعادة– مصر، ط: 1، 1371هـ.
11. الصفدي، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ.
12. الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: 1، 1407هـ.
13. عبدالله أوغلو، الخليفة عمر عبدالعزيز خليفة يحتذى به مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، ج:1، ع: 4/ أكتوبر–2020م.

14. علي الصلابي، الدولة الأموية، دار المعرفة–بيروت، ط:2، 1429 هـ.
15. فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ت: محمد أبوريدة، د ط، 1067م.
16. كمال الدين محمد، العدالة الاجتماعية في السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية (دراسة مقارنة)، مجلة جامعة الأزهر– كلية الشريعة والقانون–أسيوط ، ج:2، ع: 33، 2021م، 1309.
17. ماجدة الحلو، العدالة الاجتماعية بين القرآن والدستور، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية–كلية الحقوق– جامعة الإسكندرية، ع: 1، 2015.
18. محمد عمارة، عمر بن عبدالعزيز ضمير الأمة وخامس الخلفاء الراشدين، دار الوحدة–بيروت، ط: 2، 1985م.